الحضارة الفارسية

هي إحدى الحضارات العالمية الكبرى، كانت في شمال شرق شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، وتقع على الهضبة الإيرانية شرق بلاد الرافدين، نشأت هذه الحضارة حوالي القرن السادس قبل الميلاد، وقد اشتهرت هذه الحضارة بالإمبراطورية الفارسية، وكان سكانها في البداية غالبيتهم من الفرس، ثم تطورت هذه الحضارة فاتسعت رقعتها الجغرافية، فضمت عددًا من الشعوب الأخرى، ثم انتهت بظهور الإسلام، وكانت هذه الحضارة تتميز بالقوة العسكرية، ومر بها العديد من الأحداث والحروب التاريخية الكبرى

تاريخ الحضارة الفارسية

يبدأ تاريخ الحضارة الفارسيّة بحضارة عيلام، وهي واحدة من أولى الحضارات في المنطقة، وينتمي شعبها إلى الشعوب الهندو أوربية، وتوجد آثارها في محافظة ايلام وإقليم خوزستان، واستمرت منذ 7000 سنة ق.م، وعندما استقر فيها الآريون، تأسست الحضارة الفارسية وازدهرت عام 550 ق.م بقيادة قورش الأكبر، كما اتسعت في عهد داريوس حتى امتدت إلى نهر السند في الشرق، وإلى نهر الدانوب غربًا، حتى استولى عليها الإسكندر المقدوني عام 330 ق.م، ثم تحررت من السلوقيين خلفاء الإسكندر حوالي عام 250 ق.م، وقد ساعد في قيام هذه الحضارة كثرة تنوع البيئة والتضاريس والمناخ، ووجودها في طريق الحرير، كما تأثرت بحضارات الساميين القديمة، وكذلك الصينية والهندية، وقد انتهى عصر الإمبراطورية الفارسية تمامًا بفتحها في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه

الحالة الدينية والفكرية في الحضارة الفارسية

لم تُعرف الأديان السماوية في تاريخ الحضارة الفارسية إلا بنطاق محدود جدًا، وكان أكثر سكانها على المجوسية، فمنذ القرن الثالث الميلادي صارت الزرادشتية دينًا للدولة، وقد تدهورت أخلاق رجال الدين الزرادشتي فوصفوا بالارتداد والحرص والاشتغال بحطام الدنيا، وحاول كسرى الثاني تجديد الزرادشتية وإحياء معابد النيران في أرجاء الدولة، ويعرف رجال الدين الزرادشتيون بالموابذة وكل منهم يرأس مجموعة يسمون الهرابذة وهم الذين يخدمون نار المعبد في كل قرية. وكانت الحياة الاجتماعية في ايران تقوم على عمادين: النسب والملكيّة، فكان يفصل النبلاء عن الشعب حدود محكمة، وكان لكل فرد مرتبته ومكانه المحدد في الجماعة، وكان من قواعد السياسة الفارسية ألا يطمع أحد في مرتبة أعلى من المرتبة التي يخولها له مولده، فقد قام "أردشير الأول" بإرساء نظام اجتماعي ارتكز على تقسيم المجتمع إلى أربع رجال الدين"، ثم طبقة "رجال الجيش"، ثم طبقة "الكتّاب"، ثم "طبقات رئيسية؛ تأتي في مقدمتها طبقة طبقة "الفلاحين والعمال". وتقوم الأسرة على أساس تعدد الزوجات، وشاع بينهم الزواج بين المحارم بعض الفترات، وكان وضع المرأة يشبه وضع الرقيق حيث بامكان الزوج أن يتنازل عنها لزوج آخر دون رضاها، كما شاعت عادة التبني للأولاد

التعليم في الحضارة الفارسية

كان الفرس لديهم عاداتٌ خاصّة في تعليم أبنائهم، وهذا من مميزات تاريخ الحضارة الفارسية، ففي عمر السابعة يدخل المدرسة، وكان التعليم يُقتصَر في الغالب على أبناء الأغنياء، ويتولاّه الكهنة عادةً؛ وكان من المبادئ المقررة ألاّ تقوم مدرسة بالقرب من السوق حتى لا يكون ما يسودها من كذب وغش سببًا في إفساد الصغار، وكانت مواد الدراسة تشمل الدين، والطب أو القانون، أمّا أبناء الطبقات غير الموسرة فلم

يكونوا يتلقون ذلك النوع من التعليم، بل كان تعليمهم مقصورًا على ثلاثة أشياء: ركوب الخيل، والرمي بالقوس، وقول الحق، وكان التعليم العالي عند أبناء الأثرياء يمتدّ إلى الرابعة والعشرين، وكان مَن يُعَدُّ إعدادًا خاصًّا لتولِّي المناصب العامة أو حكم الولايات؛ يُدرَّبون على القتال، وكانت حياة الطلاب في هذه المدارس العليا شاقة؛ فكان التلاميذ يستيقظون مبكرًا، ويدرَّبون على تحمُّل جميع تقلبات الجو القاسية، وأن يعيشوا على الطعام الخشن البسيط

مظاهر الحضارة الفارسية

اتّسم تاريخ الحضارة الفارسية بعدد من المظاهر المختلفة التي ميّزتها عن باقي الحضارات فامتدّ أثرها عبر التاريخ في حضارات مجاورة من أهمها العراق، ومن أبرز مظاهر الحضارة الفارسية ما يأتي: نظام الحكم: كان نظام الحكم كسروياً مطلقًا يقف على رأسه الملك، ولقبه كسرى وصلاحياته مطلقة، كان يتسم بالحكمة والعدل أحيانًا، وأحيانًا يوصف بصفات الألوهية، فكسرى أبرويز وصف نفسه بالرجل الخالد بين الآلهة مما يدل على الغرور والتعاظم، في حين وصفه المؤرخون بالملك الحقود الجشع، يجمع أكوام الذهب مستغلًا بؤس رعيته، ولجأ للمنجمين والكهان والسحرة لاستشارتهم في اتخاذ قراراته المهمة.

-**الزراعة والصناعة:** كانت بلاد فارس أرضًا خصبة ازدهرت فيها الزراعة عبر تاريخ الحضارة الفارسية، كما انتشر فيها بناء السدود المائية، ولكن مع وجود النظام الإقطاعي وكثرة جباية الضرائب، فقد ضعفت أحيانًا الزراعة كثيرًا، أما في مجال الصناعة فقد برعوا بصناعة الأسلحة والقماش والسجاد.

التجارة: فقد ازدهرت جدًا لوقوعها في وسط الطرق التجارية، احتكر الأغنياء الثروة ومصادرها، كما انهمكوا بمباهج الحياة وشهواتها، وراكموا ثراءهم بالربا الفاحش والضرائب الثقيلة التي فرضوها على الفقراء من الفلاحين والعامة، فزادوهم فقرًا وتعاسة، وحرّموا على العامة أن يشتغل الواحد منهم بغير الصناعة التي مارسها أبوه.

الضرائب: كان العامة من سكان المدن يدفعون الجزية كالفلاحين، ويشتغلون بالتجارة والحرف، وهم أحسن حالًا من الفلاحين الذين كانوا تابعين للأرض، ومجبرين على السخرة، ويجرّون إلى الحروب بغير أجر ولا إرادة. وكان جباة الضرائب لا يتحرزون عن الخيانة واغتصاب الأموال في تقدير الضرائب وجبايتها.

العمارة: تأثر الفن المعماري في تاريخ الحضارة الفارسية بالحضارة المصرية والحضارة الإغريقية، ومن أبرز تلك الشواهد المعمارية، هي البيوت المنحوتة في الجبال والقنوات المائية، وآثار القبة البرميلية الضخمة في العراق. كان للفرس طراز فني خاص في العمارة؛ فقد شيَّدوا في أيام قورش مقابر وقصورًا، مثل الدرج الحجرية والأرصفة والأعمدة

الشعر الفارسي القديم

ومن أبرز ما بقي منه : منظومة درخت آسوريك أو شجرة نسب الآشوريين، وهي النخلة، في ما ذهب إليه بعض الدارسين. والمنظومة حوار ومناظرة بين هذه النخلة وفائدتها والعنزة؛ يادكار زريران أو سيرة زريران، وهي أقدم المنظومات الحماسية الإيرانية، وموضوع هذه المنظومة هو الحرب بين كشتاسب وأرجاسب الطوراني دفاعًا عن الدين الزرادشتي؛ وجاماسب نامة: وهي منظومة تشتمل على تنبؤات جاماسب الحكيم وزير كشتاسب بالحوادث التي ستحدث في ختام الألف عام الأولى بعد زرادشت؛ (وأناشيد (غاتها) وهي الأناشيد الدينية التي كانت جزءًا من الكتاب الديني للزرادشتية (الأفستا.

النثر

ترك الفرس القدماء آثارًا كثيرة تعبر عن عنايتهم بالنصيحة والرمز من خلال الحكايات والأساطير، نذكر من ذلك : كليلة ودمنة ذلك الكتاب الخاص بالنصيحة من خلال الرمز على ألسنة الحيوان والذي نقله إلى البهلوية من الهندية الطبيب الفيلسوف (بيدبا) وذلك في عهد كسرى أنوشروان؛ وهزار أفسانة: وهو الأصل الفارسي لألف ليلة وليلة ويدور حول المرأة والعناية بشرفها والدفاع عنها ضد الظلم؛ ونصائح بزرجمهر وكلمات أنوشروان العادل وهي نصائح في هيئة حكم وأمثال وحكايات قصيرة حيث اشتهر بزرجمهر وزير أنوشروان بالحكمة، وكذلك بعض النصائح التي أثرت عن أنوشروان الذي اشتهر بأنه الملك العادل

كان فن التاريخ أو سير الملوك من أبرز الفنون الأدبية لدى الفرس قبل الإسلام وبعده. والتاريخ عندهم لم يكن تاريخ الأمة أو نشاط الشعب بقدر ما كان تاريخ الملوك وإنجازاتهم وسيرهم. ومن أبرز ما تركه الفرس: كارنامة أردشير بابكان: سجل أعمال أردشير بابكان؛ خداي نامة: كتاب الملك وفيه سير الملوك، وقد ترجم عبدالله بن المقفع في صدر الدولة العباسية بعض هذه الكتب إلى العربية وكانت هي أصل حكايات الشاهنامة _